السيرة النبوية [١٠]

صفات النبي
صلى الله عليه وسلم

إعداد : عاطف عبد الرشيد

منبر التوحيد والجهاد

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً ، فكان كما قال الله لـــه : (**وَإِنَّـــكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**) [القلم : ٤] ، وقد سئلت السيدة عائشة – رضي الله عنها – عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان أحسن الناس خلقاً . كان خلقه القرآن ... لم يكن فاحشاً ولا متفاحشاً ، ولا صخاباً في الأسواق ، ولا يجزيء بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ثم قالـــت : اقرأ سورة المؤمنين .. اقرأ إلى العشر ؟ . فقرأ السائل ، فقالت : هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم . [مسلم والترمذي] .

بل جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الرسالة إتمام الأخلاق الحميدة . فعن أبي هريـــرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنما جئت لأتمم صالح الأخلاق " [أحمد] .

خُلقه ﷺ

وكان صلى الله عليه وسلم لين المعاملة حتى مع خدمه ، وكان متباسطاً ، فقد كانـــت الأمـــة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ينزع يده من يدها حتى تذهب حيـــث شـــاءت ، ويجيب إذا دعى . [البخاري وأحمد] .

وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس تعليماً ، وأرفق الناس عند نصح أو تعليم الغير .

وكان صلى الله عليه وسلم يخاطب الناس على قدر عقولهم .

حلمه وعفوه ﷺ

كان صلى الله عليه وسلم أكثر الناس حلماً ، وقد قال له ربه – عز وجل - : (**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْوا عَنِ الْجَاهِلِينَ**) [الأعراف : ١٩٩] .

ولما نزلت هذه الآية ، سأل الرسول صلى الله عليه وسلم جبريل عنها ، فقال : لا أدري فصعد ثم نزل ، فقال : يا محمد ، إن الله تبارك وتعالى أمرك أن تعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك " [ابن مردويه] .

لذلك عفا صلى الله عليه وسلم عن أهل مكة عندما فتحها ، على الرغم مما فعلوه معه .

وحلم الرسول صلى الله عليه وسلم كان فيما يتعلق بحق نفسه صلى الله عليه وسلم ، أما إذا كان الحق لله ، فإنما كان يتعامل بالشدة ؛ لقول الله له : (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ**) [التحريم : ٩] .

حياؤه ﷺ

اشتهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحياء ، حتى كان الصحابة يعرفون ذلك في وجهه ، فعن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها ، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه . [متفق عليه] .

وكان من حيائه صلى الله عليه وسلم أنه لا يسأل من شيء إلا أعطى . [عبد بن حميد] .

رحمته وشفقته ﷺ

وصف الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالرحمة ، فقال تعالى : (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**) [الأنبياء : ١٠٧] ، ومن رحمته صلى الله عليه وسلم أنه كان كثير الدعاء لأمته .

وعرف عنه صلى الله عليه وسلم رحمته بالصغار ، وكان يخفف صلاته بالناس إذا سمع بكاء طفل رحمة بأمه .

وعرف عنه صلى الله عليه وسلم الرحمة والشفقة بالنساء ، وأوصى بهن خيراً .

تواضعه ﷺ

أمر الله – تعالى – رسوله صلى الله عليه وسلم بالتواضع ، فقال له : (**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**) [الشعراء : ٢١٥] .

وقد اشتهر عنه صلى الله عليه وسلم التواضع ، فكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ، ويلبس الصوف ، ويعقل الشاة ، ويجيب الضعيف والمسكين إلى الطعام [الحاكم] .

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه كان ينقل التراب يوم الأحزاب ، وقد وارى التراب بياض إبطه . [البخاري] ،

وكان صلى الله عليه وسلم إذا سار مع أصحابه لا يسير أمامهم ، بل يسير وسطهم أو خلفهم . [أحمد] .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يرد دعوة إنسان ، بل كان يقول صلى الله عليه وسلم : " لو دعيت إلى كراع لأجبت " [الخطيب] .

وكان صلى الله عليه وسلم لا تغلق دونه الأبواب ، ولا يقوم دونه الحجاب ، فكان يقوم لكل من أراده ، ويقضي حاجة من يطلب منه المساعدة .

وكان من تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه كان يمر على الصبيان ، فيسلم عليهم .

ولما دخل صلى الله عليه وسلم مكة منتصراً ، دخلها وهو راكب دابته ، وذقنه على رحله متخشعاً . [الحاكم] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استقبله الرجل وصافحه ، لا يترع يده عن يـــده ، حتى يكون الرجل هو الذي يترع ، ولا يصرف وجهه عن وجهه ، حتى يكون الرجل هـــو الـــذي يصرفه ، ولم ير مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له . [الترمذي وابن ماجه] .

وكان من تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه لا يحب الثناء الكثير عليه ، ولا يحب أن يقوم إليـــه أحد .

شجاعته ﷺ

فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق الناس نحو الصوت ، فتلقاهم رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم راجعاً ، وقد سبقهم إلى الصوت ، وهو على فرس لأبي طلحة عرى ، في عنقه السيف ، وهـــو يقول : " لم تراعوا ، لم تراعوا ، ما وجدت من شيء . [ابن سعد] .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أشجع ما يكون في الحرب والقتال ، فكان يثبت إذا فـــرّ الناس ، وقد كان الصحابة يعرفون شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم ، بل كانوا يحتمون به وقـــت الشدة .

كرمه وجوده ﷺ

اشتهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجود والكرم ، وما سئل صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا . [متفق عليه] .

وقد امتدح الشاعر الفرزدق النبي صلى الله عليه وسلم في كرمه وجوده ، فقال :

ما قال لا قط إلا في تشهده

لولا التشهد كانت لاؤه نعم

وعن أنس – رضي الله عنه – قال : ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً إلا أعطاه ، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين ، فرجع إلى أهله ، فقال : يا قوم ، أسلموا ، فإن محمداً صلى الله عليه وسلم يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة ، وإن كان الرجل ليجيء إلى الرسول صلى الله عليهه وسلم وما يريد بذلك إلا الدنيا ، فما يمسي حتى يكون دينه أحب إليه من الدنيا وما فيها . [مسلم] .

خوفه وخشيته ﷺ

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الخشية لله ، تقول عائشة – رضي الله عنها - : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعاً قط ضاحكاً ، حتى ترى لهواته ، إنما كان يتبسم .

وعن أبي ذر – رضي الله عنه – قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الإنسان (**هَلْ أَتَى**) حتى ختمها ، ثم قال : " إني أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون ، أطّت السماء ، وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا ومَلَك واضع جبهته ساجداً لله ، لو تعلمون ما أعلم ، لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيراً ، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى ، والله إني لوددت أني شجرة تعضد " [الحاكم] .

شمائله ﷺ

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعض المعجزات والبركات ، منها تكثير الماء بين يديه صلى الله عليه وسلم ، فقد أوتي صلى الله عليه وسلم بإناء فيه ماء ، فوضع فيه يده ، وجاء الصحابة فتوضئوا منه ، وكانوا أكثر من ثلاثمائة .

ومنها تكثير اللبن في الإناء كما حدث مع أبي هريرة – رضي الله عنه – وأهل الصُفَّة ، وكم من مرة وضع يده على شاة لا تحلب فحلبت ، وسيرته في تكثير الماء والطعام أكثر من أن تحصى ، بل كان الطعام والشراب يسبحان بين يديه صلى الله عليه وسلم ، وقد سمع الصحابة التسبيح .

ولما اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم منبراً ، وترك جذع النخلة الذي كان يخطب عليه ، حن الجذع إليه ، وصاح صياح الصبي حتى تصدع وانشق ، فاحتضنه الرسول صلى الله عليه وسلم . [أحمد والترمذي] .

وقد سبح الحصى في يديه ، فسمع الصحابة له صوتاً كصوت النحل ، ثم وضعه في كف أبي بكر فسبح ، ثم في كف عمر ، ثم في كف عثمان ، فسبح . [الطبراني والبيهقي] .

وقد وقف الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه العشرة المبشرون بالجنة على جبل حراء ، ففرح الجبل ، فأمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يثبت ويهدأ . [البخاري] .

ولما دخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكة عند فتحها ، وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً ، فأشار إلى كل صنم بعصا ، وقال : (**جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً**) [الإسراء : ٨١] ، فكان كل صنم يسقط دون أن يلمسه الرسول صلى الله عليه وسلم بالعصا . [متفق عليه] .

وكان للنبي صلى الله عليه وسلم معجزات مع الحيوانات ، فقد هاج جمل عند حائط من حوائط بني النجار ، لا يستطيع أحد أن يمسكه ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، ونادى الجمل ، فأتى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وبرك بين يديه . [مسلم] .

وجاءه صلى الله عليه وسلم جمل ، قد جرح ، وذرفت عيناه ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأسه إلى سنامه ، فسكن الجمل ، ثم قال لصاحبه : " أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكتها ، إنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتدئبه " [أحمد ومسلم] .

واشتكى علي بن أبي طالب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وجع عينيه ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أراد أن يعطيه راية خيبر ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ، ودعا له ، فشفى حتى كأن لم يكن به مرض . [متفق عليه] .

خصائصه ﷺ

وقد اختص الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بكثير من الخصائص ، أهمها : أن الله قد أخذ الميثاق على النبيين أن يؤمنوا به وينصروه ويبشروا به أممهم ، وقد جاء وصف الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتب السابقة ، كما وُصِف أصحابه أيضاً ، كما أن الملائكة أظلته في سفره صلى الله عليه وسلم ، وأنه صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا ، وأنه رأى جبريل – عليه السلام – مرتين .

وخصه بأنه خاتم الأنبياء ، وسيد الناس ، وأكرم الخلق ، وأنه بعث للناس كافة ، وأن الجن آمنت به ، وأنه أُرسل رحمة للعالمين ، وأن شرعه مؤبد غير منسوخ ، وأنه ناسخ لما قبله من الشرائع ، وأنه نصر بالرعب مسيرة شهر ، وأنه من صلى عليه مرة ، صلى الله عليه به عشراً ، وأن صلاة أمته تبلغه وهو في قبره ، وأنه أوتي جوامع الكلم ، وجمع الله له القبلتين ، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وشرح له صدره ، ووضع عنه وزره ، ورفع له ذكره .

وخصه الله دون الأنبياء بأشياء أهمها : إحلال الغنائم له ، والأرض كلها مسجد ، والتراب طهور ، وغير ذلك من الخصائص التي لا تعدُّ ولا تحصى ، مما اختص الله سبحانه بها نبيه صلى الله عليه وسلم .

خطبه ﷺ

خطب الرسول صلى الله عليه وسلم على الأرض ، وعلى المنبر ، وعلى البعير ، وعلى الناقة ، وكان له جذع نخلة يخطب عليه حتى صنع له منبر ، وكان إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، كأنه منذر جيش .

وكان إذا صعد المنبر ، أقبل على الناس بوجهه وقال : " السلام عليكم " وكان يختم خطبته بالاستغفار ، وكثيراً ما كان يخطب بالقرآن ، فعن أم هشام بنت حارثة ، قالت : " ما أخذت (**ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ**) إلا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس " [مسلم والنسائي وأبو داود] .

وكان صلى الله عليه وسلم يراعي حالة المخاطبين ومصلحتهم ، وكان يفتتح خطبته بالحمد والثناء ، ويتشهد فيها بالشهادة ، ويذكر فيها نفسه باسمه " محمد " صلى الله عليه وسلم ، وكان إذا قام يخطب أخذ عصا ، فتوكأ عليها وهو على المنبر وكان منبره ثلاث درجات فإذا استوى عليه ، واستقبل الناس ، أذن المؤذن و لم يقل شيئاً قبله ولا بعده ، ولا يتكلم أحد أثناء خطبته . وكان إذا عرض له في خطبته شيء عارض ، اشتغل به ، ثم رجع إلى خطبته ، فقد كان يخطب ذات مرة في الناس ، فجاء الحسن والحسين يعثران في قميصين أحمرين . فقطع كلامه ، فنزل ، فحملهما ، ثم عاد إلى منبره .

وكانت خطبته قد تطول أو تقصر بحسب حاجة الناس ، ومراعاة أحوالهم ، وكانت خطبته العارضة أطول من خطبته الراتبة .

مزاحه ﷺ

اشتهر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يمازح أزواجه ، ويمازح أصحابه ، وكثيراً ما كان يمازح الأطفال والصبيان ، فقد روى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى لرجل من أصحابه كان يبيع متاعه في السوق ، فاحتضنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يبصره الرجل ، فقال الرجل : أرسلني ، من هذا ؟ فالتفت ، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره لصدر الرسول صلى الله عليه وسلم حين عرفه ، وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : " من يشتري العبد ؟ " فقال : يا رسول الله ، إذن والله تجدني كاسداً ، فقال صلى الله عليه وسلم : " ولكن عند الله لست بكاسد ، أو قال : ولكن أنت عند الله تعالى غالب " [أحمد] .

وكثيراً ما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمازح الحسن والحسين – رضي الله عنهما - ، ويحملهما على ظهره .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد